توقُّعات المستقبل واستشرافه في العقيدة الإسلامية

د. حيدر بن أحمد الصافح(★)

مُقَدِّمَة:

يعيش الإنسان بين ماض سحيق محاطٍ بغيب لا يعلم عنه شيئاً، وبين مستقبل مغيب عنه لا يدري ما الله صانع فيه. ولا يملك الإنسان وهو محدود في الزمان والمكان أن يملك معلومات صحيحة مؤكدة وموثقة، إلا من طريق وحيد هو طريق النبوة والرسالة إذ بواسطتها يطلع الله أنبياءه ورسله على ما يشاء من أخبار الماضي وتكوينه ونشأته وما حدث فيه أو من أخبار المستقبل التي لا يعلم أحداثه وتفاصيله قبل كونه ووقوعه إلا الله العليم الخبير: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥] ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن: ٢٦ـ٢٧].

وما عدا هذا الطريق فإنما هو حدس وتخمين، وظنٍ وتخرُّص لا يغني من الحق شيئاً.

والإنسان مجبول على حب المعرفة والتطلع إلى ماضيه ومستقبله، شديد الولوع بمعرفة أيامه، وهو مع هذا مدعوٌ ومكلف بالبحث والتأمل والنظر ليكون على يقين تام من مبدئه ومعاده، وبداياته ونهاياته ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ

(★) أستاذ مساعد بكلية التربية جامعة صنعاء.

فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ (١٩) قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٢٠) ﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٠].

والمؤمن العاقل المدرك يستفيد من الماضي وأحداثه وتجاربه ويستخلص منه العبر والدروس والعظات ويؤسس حاضره على علم وهدى والقرآن مليء بالدعوة للاستفادة من الماضي ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ (١٣٧) ﴾ [آل عمران: ١٣٧]. وقد ذم الله تعالى الذين لا يفكرون ولا يعتبرون بمصارع السابقين ونهاية الظالمين، فقال سبحانه: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ (٤٦) ﴾ [الحج: ٤٥-٤٦]، هذا فيما يتعلق بالماضي وأحداثه.

أما المستقبل وتطلعاته فقد أمر الله عباده بأن يكونوا على استعداد تام ويقظة مستمرة، وعمل دؤوب من أجل مستقبلهم، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقال: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وإذا كان اهتمام القرآن والسنة بالدار الآخرة لأنها الحياة الحقيقية، فإننا نجد الاهتمام كذلك بحياة الإنسان فرداً وأسرة ومجتمعاً وأمة في حاضرهم ومستقبلهم ، ولقد شرع الله لعباده ما يسعدهم في الدنيا والآخرة، ووضع لهم معالم، وزودهم بملكات وقدرات يستطيعون من خلالها صياغة الحاضر والمستقبل، وتحقيق الأهداف الكبيرة التي كلَّف الله الإنسان بها، وهي عبادته تعالى، وعمارة الأرض وإصلاحها، وإقامة العدل وتحقيق الخير ونشره بين العالمين.

وقد حاولت ومن خلال هذا البحث أن أسلط الأضواء على هذا الموضوع الحيوي والمهم ، والذي أسميته: (**توقُّعات المستقبل واستشرافه في العقيدة الإسلامية**) وذلك من خلال المباحث الآتية ، والتي نبدأها بتعريف العنوان:

التعريف بالعنوان

توقع الأمر: ارتقب وقوعه .. وتوقع فلان الأمر تخوَّف منه[1].

وأوقع ظنه على الشيء ووقعه: قدره وأنزله[2]. وغالباً ما تكون التوقعات محفوفة بالخوف والقلق من المفاجآت .

والمراد بالمستقبل: الزمن القادم، وما يحمل في طياته من أقدار وأحداث، والاستقبال ضد الاستدبار، واستقبل الشيء وقابله حاذاه بوجهه[3].

وحروف الاستقبال ـ وهي السين وسوف ـ تدخل على الفعل المضارع فتجعله نصاً في المستقبل[4].

والاستشراف: مصدر استشرف الشيء رفع بصره إليه ، وبسط كفه فوق حاجبه كالمستظل من الشمس ، واستشرفت الشيء إذا رفعت رأسك أو بصرك تنظر إليه[5].

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، للدكتور/ إبراهيم مدكور "وآخرون"، المَجْمَع العلمي بالقاهرة، ط/٢، دون ذكر التاريخ أو الدار، ١٠٥٠/٢، وترتيب القاموس، للطاهر أحمد الزاوي، ط/٢، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ ٦٤٥/٤.

(٢) انظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ، دار صادر دون ذكر رقم الطبعة أو تأريخها، ٤٠٣/٨ .

(٣) انظر: لسان العرب ٣٥٦/١١ .

(٤) المعجم الوسيط ٧١٢/٢ .

(٥) لسان العرب ٩ /١٧١- ١٧٢ .

والتشرف للشيء: التطلع ، والنظر إليه وحديث النفس وتوقعه ، ويقال: أشرفت الشيء علوته، وأشرفت عليه اطلعت عليه من فوق(1).

ومن خلال التعريف اللغوي يمكننا أن نعرّف استشراف المستقبل بأنه: عملية التوقع بما سيحدث ، ثم محاولة الوصول إلى أهداف محددة في المستقبل، والعمل من أجل تحقيقها . وذلك بالاستفادة من المعطيات القائمة لرصد العوامل المؤثرة في جريان الأحداث المستقبلية . وحد المستقبل هو كل زمان ما بعد الحاضر، ويشمل القريب منه والبعيد ، ويدخل في ذلك فترة ما بعد الموت ونهاية الكون القائم .

فتكون عملية توقع المستقبل واستشرافه قائمة على شيئين :

[١] محاولة التعرف على ما سيقع في المستقبل .

[٢] السعي لصياغة المستقبل وفق أهداف مرسومة من خلال توظيف المعطيات القائمة لتؤثر في مجريات الأحداث القادمة(2).

إن النظر إلى المستقبل واستشرافه له صلة بالعقيدة الإسلامية ، ذلك أن الإسلام جاء بتصور كامل للحياة التي يعيشها الإنسان . وصور المراحل التي مر بها الإنسان أو سيمر بها ، وبين طبيعة كل مرحلة ومتطلباتها . وبين الهدف من وجود الإنسان ، وأوضح الوظائف والمهمات والواجبات المطلوبة منه ، ثم

---

(١) لسان العرب ٩ / ١٧٢ .

(٢) انظر: استشراف المستقبل في القرآن والسنة ص ١٤ للباحث فهمي إسلام جيوانتو .

أوضح معايير النجاح والفشل ومعايير الترقي والنهوض، ومقاييس التردي والسقوط، وبين كيفية المحاسبة والتقويم للعمل والنتائج للأعمال المتفاوتة ووفر دوافع وحوافز للعمل الطيب من جانب، وأوجد محذرات وزواجر عن العمل السيئ من جانب ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧ـ٨]، ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت: ٤٦]، والإيمان باليوم الآخر أقوى ما يؤثر في سلوك المؤمن الصادق ويحدد موقفه من مستقبله، والإيمان عبارة عن منظومة من المعتقدات المترابطة المتكاملة التي توضح مهمة الإنسان، ومبدأ الجزاء والعقاب ثم الحساب والمستقر الأخير إما إلى جنة أو إلى نار وتلك ثمرة لأعمال الإنسان في هذه الحياة ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩ ﴾ [الكهف: ٤٩].

إن العقيدة الإسلامية سهلة يسيرة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، إنه وضوح في الهدف، ووضوح في الطريق، ووضوح في المعايير، ثم وضوح في المصير المترتب على العمل، فليست المسألة خبط عشواء أو بالأماني كما قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣ ﴾ [النساء: ١٢٣].

حكم توقُّع المستقبل واستشرافه

وجَّه الإسلام الأنظار وحث على أنواع من التطلع المستقبلي الـذي يخـدم رسالة الوجود للإنسان على سطح الأرض ثم العمل على صياغة المستقبل من خلال المعطيات الحاضرة وتلك هي مهمة الإنسان التي كلف بها وحملها .

إنَّ النظر إلى المستقبل من منظور الشرع والعقـل يقـوم علـى الاسـتدلال بالأحوال الظاهرة للوصول إلى الأمور الغائبة ، وهذا يجيده أهل العقل والفراسة وقد جاء في القرآن الكريم إشارة إلى هـذا المعنـى في قـول الله تعـالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥ ﴾ [الحجـر: ٧٥]، وقولـه: ﴿ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ ﴾ [محمد: ٣٠]، وقوله تعـالى: ﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ [الفـتح: ٢٩]، غير أن هناك حدوداً لا يمكن ولا يجـوز تجاوزهـا عنـد النظـر إلى المسـتقبل واستشرافه ، فلا يجوز أن يعتمد على الظنـون والتخرصـات والأوهـام الكاذبـة التي يحرمها الشرع ويرفضها العقل، لقد فتح الإسـلام للإنسـان أبوابـاً واسـعة لصياغة الرؤية المستقبلية وحدد منافذ لتوقع الأحـداث المسـتقبلية للوصـول إلى نتائج صحيحة ، كما نصب من جانب آخـر إشـارات وخطوطـاً حمـراء لا يجـوز اقترابها والاشتغال بها لأنها تـؤدي بالإنسـانية إلى التيـه والخرافـات والضـلال

البعيد ، إذاً فالإسلام يمنع ويحرم الاشتغال بالأمور التي لا تنفع لا في الحاضر ولا في المستقبل ، ويدعو ويشجع ويدفع بالإنسان إلى الإيجابية وتحقيق الأمور النافعة في حاضره ومستقبله . وهذا ما سأحاول بحثه وإيضاحه في الفقرة الآتية :

وسائل مشروعة في استشراف المستقبل وتوقعاته

الإسلام يربي الإنسان على الاهتمام بالمستقبل وليس مقصوراً على هذه الحياة المحدودة بل يتجاوزها إلى الآخرة الباقية الدائمة، ولقد أخذ الإيمان باليوم الآخر ووجوب الاستعداد له حيزاً كبيراً من القرآن الكريم ، حتى يكون الناس على بينة من أمرهم فلا يغتروا بهذه الحياة الفانية، ويسجنوا أنفسهم بها ، كما أوضح القرآن الكريم وبين بأن العبرة في نجاح الإنسان وفشله وسعادته وشقائه إنما هو بالنتيجة النهائية يوم القيامة ، إن قضية الإيمان باليوم الآخر ووجوب الاستعداد له تمثل ثلث القرآن . إذ محاور القرآن تدور على ثلاثة ركائز: التوحيد والرسالة وأمر المعاد ، وهذه القضايا اتفقت عليها الشرائع الإلهية ودعا الرسل عليهم الصلاة والسلام الناس إليها[1].

---

(١) انظر: مدارج السالكين للإمام ابن القيم الجوزية بتحقيق الفقي ط ٢ ، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م، ٧/١ .

وهـذه القضـية مبسـوطة ومقـررة في القـرآن الكـريم بطـرق متعـددة ومتنوعة[1].

وليس الغرض هنا إلا الإشارة فقط دون التفصيل ، وأكتفـي بـذكر نمـوذج من القرآن الكريم يبين للناس قيمة هذه الحياة الـدنيا والحيـاة الآخـرة ، ويؤكـد للبشر بأن هذه الحياة إنما هي دار ممـر لا دار مقـر، وأن الإنسـان لا بـد أن يوجـه جهوده وطاقاته كلها للاهتمام بيوم معـاده ورجوعـه إلى ربـه قـال تعـالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، في هذه الآية الكريمة تشجيع على العمـل من أجل المستقبل البعيد الذي ينتهي إليه مصير الإنسان . وبناءً عليه فلا بد أن يربط المرء جهده بهذه النظرة ، فلا يجوز أن يكون نشاطه مقطوعاً بموتـه ، يتبخـر كل ما عمله بمجرد فراقه لهذه الحياة الدنيا، فإن ذلك من اللـهو واللعـب الـذي يترفع عنه العاقل ، وإنما العمل المفيد الذي يجمـع بـين خـيري الـدنيا والآخـرة "والمسألة مسألة قيم يزنها بميزانها الصـحيح ، فهـذه قيمـة الـدنيا وهـذه قيمـة الآخرة كما ينبغي أن يستشعرها المؤمن ثـم يسـير في متـاع الحيـاة الـدنيا علـى

---

(١) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي القاعدة الثامنة ملحق التفسير ، ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت / ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

ضوئها ، مالكاً لحريته ، معتدلاً في نظرته : الدنيا لهو ولعب ، والآخرة مليئة بالحياة"[1].

إن كل جهد يبذل في نفع دنيوي محض يعتبر عبثاً ، فكأنه يلهو ويلعب، نشاط ليس له صلة بالحقيقة، تعب بدون جدوى ، ومشقة لغير طائل ، ولذلك جعل الله للناس قاعدة ليسيروا على ضوئها ، وهي أن يبذلوا كل جهودهم لصالح مستقبلهم الحقيقي كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾ [الحشر: ١٨]، لا بُدَّ أن يقيس الإنسان كل سعيه بما يعود عليه من ربح في مستقبله، وإلا فهو الخسران المبين .

أخبار عن المستقبل في القرآن الكريم

لقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم عن بعض الأمور الغيبية ، وأخبرنا أنها ستقع في المستقبل ، ووقعت هذه الأمور على نحو ما أخبر بها ، وهي كثيرة.. أكتفي بذكر ثلاثة نماذج فيما يلي:

[١] من ذلك إخبار الله في كتابه عن انتصار المسلمين وسيادتهم على الرغم من صعوبة الظروف وقساوتها على رسول الله ﷺ ومن آمن به، لقد بدأ

(١) في ظلال القرآن ط دار الشروق ، ٢٧٥١/٥ .

رسول الله بدعوته ، وكل من في الأرض يخالفه ، بل ويحاربه وأخذت العزة بالإثم قريشاً ، فأنفقت الأموال ورسمت الخطط، وأعلنت العداء السافر، وهددت بإبادة كل من يعتنق الدين الجديد .

في هذه الظروف الحرجة الصعبة البائسة اليائسة في ميزان العقل المادي تنزلت الآيات على رسول الله ﷺ مخبرة له بالنصر والظفر، والمحن والهلاك لأعدائه، ينزل قول الله تعالى رداً على خيلاء قريش وغرورها، ينزل متهدداً متوعداً، ومعلناً لأغرب خبر يمكن للإنسان أن يسمعه في مثل تلك الظروف والأحوال قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ (٤٦) ﴾ [القمر: ٤٤ـ٤٦]، وينزل قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٥].

ويفرح المسلمون المستضعفون بهذا الوعد الكريم، وترتسم على وجوههم علامة الفرح بهذه البشارة، وكأنهم يرونها رأي العين ، ويحي الأمل في نفوسهم وتغمر الطمأنينة قلوبهم ، ويعدون الأيام والليالي لاستقبال ذلك اليوم الذي يتحقق فيه هذا الخبر الذي أيقنوا به .

وتتلاحق الأحداث وتتطور الأمور ، لتكشف عن أعظم معركة في التاريخ، وأغرب معركة في ميزان العقل المادي ... إذ هَزم أولئك الضعفاء من المؤمنين المهاجرين ، الفقراء الجياع ، هزموا جيش المشركين في بدر ، الذين كانوا يفوقون المسلمين بثلاثة أضعاف مع ما لديهم من العُدد ، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : كان بين نزول قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القمر: ٤٥]، وبين غزوة بدر سبع سنين ، لقد تحقق وعد الله لرسوله ونصر الله عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده[1].

[٢] ومن ذلك إخبار القرآن عن انتصار الروم على الفرس . إنه خبر مثير يتعلق بمصير دولة من الدول الكبرى في ذلك الزمان ، في صراعها مع دولة أخرى ، إنها دولة الروم في صراعها مع دولة الفرس ، لقد هاجمت الدولة الفارسية الدولة الرومانية ، واستولت على ممالكها، واستباحت كل شيء فيها، وقتلت عشرات الألوف من النصارى المسالمين ، ودمرت الكنائس، وأقام الفرس بيوت عبادة النار في كل مكان ، وأكرهوا الناس على عبادة الشمس والقمر والنار ، وأحدث هذا النصر نشوة واستعلاء وكبرياء لدى كسرى ملك الفرس، يظهر ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها إلى هرقل قائلاً فيها : (من لدن الإله كسرى ، الذي هو أكبر الآلهة ، وملك الأرض كلها إلى عبده اللئيم

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ، ط٢ دار الفكر، بيروت/١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ٦/ ٤٧٩، ٧/ ٦٨٠ .

الغافل هرقل ، إنك تقول : إنك تثق في إلهك ، فلماذا لا ينقذك إلهك المقدس من يدي ؟) واستبد اليأس والقنوط بهرقل، وكان جل تفكيره في الهرب والنجاة بنفسه .. إنها ذروة اليأس التي وصل إليها هرقل ، ووصل إليها الروم، وذروة الاستعلاء التي وصل إليها الفرس .. وإنها الحال أشبه ما تكون بحالة المؤمنين في مكة مع المشركين الذي يسومونهم أشد أنواع العذاب .. وفرح المشركون بانتصار الفرس على الروم، وحزن لذلك المؤمنون، وازداد بأس المشركين، واستفادوا من الظروف الدولية حين انتصر الفرس على الروم ، إذ كانوا يرون الروم وهم على الدين النصراني أقرب إلى محمد ﷺ والمسلمين منهم، وكانوا يرون الفرس أقرب إليهم من المسلمين لاجتماعهما على الوثنية. فبلغت النشوة أوجها عند المشركين بانتصار الفرس على الروم ، واعتبروا هذا انتصاراً لهم ، وأخذوا يرددون أمام المسلمين قولهم : (لقد غلب إخواننا على إخوانكم) وفي هذه الأجواء والظروف الحرجة عند الروم ، والضيق والشدة التي كان فيها المسلمون ينزل قول الله تعالى بخبر لم يتوقعه أحد من أهل الأرض لا من المسلمين ولا من غيرهم، نزل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ

ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم: ١ـ٦].

ولم يكتف القرآن بالإخبار عن انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم في بضع سنين، وإنما أشار كذلك إلى نصر سيحصل للمسلمين في الوقت ذاته يفرحوا به ، وإذا كان كل واحد من النصرين مستبعد عند الناس أشد الاستبعاد، فكيف الظن بوقوعهما مقترنين في يوم واحد، لذلك أكد القرآن أعظم التأكيد بقوله : ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ ولقد صدق الله وعده، فتمَّت للروم الغلبة على الفرس بإجماع المؤرخين في أقل من تسع سنوات ، وكان يوم نصرها هو اليوم الذي وقع فيه النصر للمسلمين على المشركين في غزوة بدر يوم الفرقان ، قال أبو سعيد الخدري ﷺ: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله : ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ قال : يفرح المؤمنون بظهور الروم على فارس[1].

(١) انظر في ذلك: الرسول لسعيد حوى ط ٣ ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت/١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ، ٥٥/٢ ، وسنن الترمذي للإمام الترمذي بتحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٨٩/٥ برقم (٢٩٣٥) ، المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت / ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م ، ٢ / ٤٤٥ برقم (٣٥٤٠).

[٣] ومن ذلك الإخبار عن حفظ القرآن إلى يوم القيامة . من خصائص نبينا محمد ﷺ عالمية الرسالة التي جاء بها وخلودها فلا نبي بعده ، وأعظم نعمة أكرمه الله بها وأكرم البشرية القرآن الكريم ، هذا القرآن الذي أنزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ يخاطب كل من في الأرض ، من عربي وأعجمي، وأبيض وأسود وأحمر ، ومشرك وكتابي وملحد ومادي ، والجن والإنس جميعاً، والقرآن برسالته يواجه كل قوى الشر والباطل في الأرض . وهذا يعني أن أهل الباطل سيثورون على القرآن والرسول من كل حدب وصوب ، ولقد استنفر الباطل قواه واستخدم كل أجندته لحرب القرآن ، بتحريفه تارة وتشويهه، أو بالافتراء عليه والتنفير عنه، أو بالصخب واللغو فيه ، وقد يصل بهم الحال إلى قتل حملته ومنع دراسته وتدريسه وملاحقة مؤسساته ومعاهده وشيوخه وتلامذته، فالظروف كلها حين نزول القرآن كانت ضد رسول الله وضد القرآن، وكل من يراقب مجرى الأحداث ، ويعرف التحديات التي أتى بها القرآن لكل من في الأرض فإنه يتوقع أن تندثر تلك الدعوة ، كما يتوقع أن يزول القرآن وتنسى آياته ، شأنه في ذلك شأن كثير من المبادئ التي مرت بها ظروف مشابهة للظرف القرآني ، بل ربما كانت في ظروف أحسن بمئات المرات من ظروف القرآن ، ولكنها مع ذلك زالت من الوجود ، ومحيت من الأذهان ، ولم يبق لها من الذكر إلا ما يكتب عنها في بطون كتب التاريخ في أحسن أحوالها(١).

(١) انظر: المعجزة القرآنية د/ محمد حسن هيتو ط ١ ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت/ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م،

وفي تلك الظروف العصيبة والأجواء القاسية التي كان يعيشها رسول الله ﷺ، تتنزل آيات القرآن مدوية قوية في أرجاء الوجود معلنة عالمية رسالته واستمرارها وخلودها في تحد واضح ، مطمئنة رسول الله والمؤمنين في كل زمان ومكان بحفظ الله لهذا الكتاب الكريم قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان: ١]، وقال: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨ ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩]، إنه تحدٍّ جديد يضيفه القرآن إلى تحدياته السابقة، والمعركة مفتوحة مع كل الطواغيت وهو يتحداهم بكلام يعتبر من أكثر أنواع الكلام تأكيداً ، إنَّ المؤكدة ولام التأكيد وبالجملة الاسمية التي تفيد الاستمرار, ولأعداء الإسلام قديماً وحديثاً محاولات كثيرة وكبيرة للنيل من هذا القرآن ولكن سهامهم طائشة وجهودهم فاشلة ، ونهاياتهم يائسة .

لقد تكفل الله بحفظ القرآن الكريم واستمراره ما بقيت الحياة، كما تكفل سبحانه بحمايته من التبديل والتحريف ، والتغيير والتزييف ، فلا يأتيه الباطل

ص ١١٩ وما بعدها .

من بين يديه ولا من خلفه، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١ـ٤٢].

الإسلام يدعو إلى العمل والجد للمستقبل وينهى عن الأماني والكسل

يريد الإسلام من المسلمين أن يكونوا على علم تام ويقظة كاملة وعمل دؤوب قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

لا بد من أن يبادر الإنسان إلى الخيرات، ويغتنم وقته قبل أن تفوته الفرصة وتذهب عنه الإمكانية، قال رسول الله ﷺ: (بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مفنداً ، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر)[1].

وإذا كان الإسلام يحث على العمل الدائب ، فإنه ينهى عن التسويف والكسل والتفريط، فقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (الكيس من دان

(١) سنن الترمذي ، ٥٥٢/٤ برقم (٢٣٠٦) ، وضعفه الشيخ الألباني ، انظر ضعيف الجامع الصغير ط/٢، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، دمشق /١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م ، (٣/٣) حديث رقم : (٢٣١٤) .

نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)[1].

إن هذا الحديث الشريف يبين عوامل نجاح الشخص وأسباب فشله، فالشخص الناجح يداوم محاسبة نفسه، ويمارس العلم الدءوب من أجل تحسين مستقبله ، والشخص الفاشل هو من يترك نفسه غارقة في اللذة الحاضرة، ويؤثر الراحة ، ثم يحلم ويتمنى خيراً يأتي مجاناً بدون بذل السبب ودفع الثمن.

إن الأماني الفارغة من الأدواء القاتلة التي تغتال حركة الإنسان دون أن يشعر ، وهي أهم سلاح يستخدمه الشيطان في تثبيط الإنسان والحيلولة بينه وبين الإيمان والخير ، ولقد أخبرنا الله تعالى عن الشيطان وحذرنا منه وبين لنا أن الشيطان سيستخدم هذا السلاح الفتاك لإجهاض كل إرادة تصدر من الإنسان نحو الخير، قال تعالى مخبراً عن الشيطان أنه قال : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ [النساء: ١١٩]، وقال : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النساء: ١٢٠]، والشيطان لا يفتأ يصور للإنسان عواقب سيئة

---

(١) الترمذي ٤/٦٣٨ برقم (٢٤٥٩) ، وسنن ابن ماجة للإمام ابن ماجة بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ـ بيروت ، ٢/١٤٢٣ برقم (٤٢٦٠) ، ومسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية) ٤/١٢٤ برقم (١٧١٦٤) ، المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم ، ١/١٢٥ برقم (١٩١) ، وضعفه الشيخ الألباني ، انظر ضعيف الجامع الصغير (١٦٧/٤) حديث رقم : (٤٣١٠) .

جـراء أي عمـل صـالح يقـوم كمـا قـال تعـالى : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ ﴾ [البقـرة: ٢٦٨]، فالإنفاق يأتي بالفقر ، والجهاد يعجل بالموت، وهكذا يسير الشيطان في خداعه للإنسان وإغوائه ، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ بيان لشيء من إيعاد الشيطان ووسوسته للإنسان في قوله ﷺ: (إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم)[1].

ومثله قوله ﷺ: (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : تهاجر وتدع أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول ، فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ، فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة،

(١) الترمذي ٥/ ٢١٩ برقم (٢٩٨٨) . وضعفه الشيخ الألباني ، انظر ضعيف الجامع الصغير (٢/ ١٨٥) حديث رقم : (١٩٦١) .

ومن قتل كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة)[1] .

(١) سنن النسائي للإمام النسائي بتحقيق عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، ٦/ ٢١ برقم (٣١٣٤) .

نماذج عملية من حياة الرسول ﷺ تجاه المستقبل

لقد كانت حياة رسول الله ﷺ حياة جد واجتهاد وعبادة وجهاد ، يهتم بمستقبله ومستقبل أمته، لقد كانت الجنة والنار نصب عينيه . وكان يخطط لكل أعماله ، كان يخطط لمسيرة الدعوة، وكان يخطط للهجرة ، وكان يخطط قبل خوض المعركة ، وكان يهتم صلوات الله وسلامه عليه بما سيحدث لأمته بعده، ويمكننا أن ندلل لهذه الجوانب من خلال المواقف الآتية :

ففي مجال استعداده واستحضاره لليوم الآخر: كان عليه الصلاة والسلام إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : ((يا أيها الناس اذكروا الله .. جاءت الراجفة تتبعها الرادفة , جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه))[(1)].

وفي شدة مسارعته ﷺ لعمل الخير: أنه ﷺ صلى يوماً العصر ، فأسرع ثم دخل البيت فلم يلبث أن خرج فسئل ﷺ عن سبب سرعة انصرافه من الصلاة فقال : ((كنت خلفت في البيت تبراً – وهو ذهب أو فضة – من الصدقة فكرهت أن أبيته فقسمته))[(2)].

---

(1) الترمذي ٤ / ٦٣٦ برقم(٢٤٥٧) .

(2) صحيح البخاري للإمام البخاري بتحقيق د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير , اليمامة ـ بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ١ /٤٠٨ و ٢ /٥١٩ برقم (١١٦٣) ورقم (١٣٦٣) .

وهكذا كانت حياته ﷺ حرص ومسارعة إلى الخيرات ، وهو بذلك يقدم ﷺ قدوة لأمته لكي يستبقوا الخيرات، وأن لا يتوانوا عن العمل .

وفي مجال التخطيط للأعمال المستقبلية: نجد رسول الله ﷺ بعيد النظر حسن التخطيط والتدبير فلم تكن للعشوائية والارتجالية مكان في حياته. وحين رأى ما يلاقيه أصحابه من عنت وتعذيب من كفار مكة، وما تلاقيه الدعوة من حرب وتضييق، فكَّر ﷺ في أماكن أخرى يأمن فيها أصحابه، وتنطلق منها الدعوة فخرج صلوات الله وسلامه عليه إلى الطائف، وكان يعرض نفسه على القبائل علَّه يجد من ينصره ويؤويه وقال لأصحابه: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه)(١).

لم تكن تلك الخطوات مجرد فرار من المشاكل، بقدر ما تمثل خطوة استراتيجية لإنقاذ المدعوين ولسلامة الدعوة ونشرها، ولذلك فقد هاجر من المسلمين أصحاب الوجاهة والقوة والمنعة أمثال جعفر بن أبي طالب وعثمان ابن عفان وأبي سلمة المخزومي وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين . ولم يزل نبي الله صلوات الله وسلامه عليه يبحث عن مستجيب لدعوة الإيمان والتوحيد

(١) انظر في ذلك سيرة ابن هشام بتحقيق محمد خليل هراس مكتبة الجمهورية دون ذكر لتأريخ أو رقم أو بلد الطباعة ، ج١/ ٣٣٠ والسيرة النبوية لإبن كثير ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، دون ذكر رقم الطبعة أو تأريخها ، ٣/٢

يتبناها ويحميها حتى أكرم الله بذلك الأنصار الذين عرض عليهم النبي ﷺ دعوته فآمنوا به وبايعوه بيعة العقبة، وكان من بنودها المبايعة على السمع والطاعة في المنشط والمكره وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول كلمة الحق لا تأخذهم في الله لومة لائم، وعلى أن ينصروا رسول الله ويمنعوه ويحموه إذا قدم عليهم كما يمنعون أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم ولهم الجنة(١).

وكان من هديه ﷺ أن يستطلع الأخبار ويتحرى المعلومة لتكون خطواته مبنية على معلومات دقيقة، ومن يدرس سيرته ﷺ يجد ذلك واضحاً جلياً في هجرته وفي غزواته وسائر أحواله.

ومن اهتمامه ﷺ بأصحابه من بعده، أن وضع لهم معالم وإشارات ذات طابع مستقبلي بعيد، فقد اتخذ تدابير تحدد مسيرة الأمة بعد وفاته ﷺ ومن ذلك إبرازه ﷺ لشخصيات وترشيحه لها ليعتمد عليها بعد وفاته ﷺ، فقد جاءته امرأة فكلمته في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت

(١) البخاري ٦/ ٢٦٣٣ برقم (٦٧٧٤)، وصحيح مسلم للإمام مسلم بمراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت/ ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م، ٣/ ١٤٧٠ برقم (١٧٠٩)، وقصة البيعة بتمامها عند أحمد ٣/ ٣٢٢، ٤٦٠ برقم (١٤٤٩٦) و (١٥٨٣٦) صحيح ابن حبان بترتيب بن بلبان للإمام ابن حبان بتحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت/ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ٤٧١/١٥ برقم (٧٠١١)، والحاكم ٣/ ٣٢٣ برقم (٥٤٠٥) وانظر الفتح للحافظ ابن حجر بتحقيق ابن باز، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء دون ذكر لتأريخ أو رقم أو بلد الطباعة ٧/ ٢٢٣.

ولم أجدك ؟ كأنها تريد الموت قال : (إن لم تجديني فأتي أبا بكر)[1] وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ في مرضه (ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)[2]. وكان ﷺ يعد إرسال الجيش لمقارعة الروم وهو في فراش الموت ، وأوصى عند موته بثلاث ، أوصى أن ينفذ جيش أسامة ، ولا يسكن معه المدينة إلا أهل دينه ، وأن يجيزوا الوفد بنحو ما كان يجيزهم)[3].

وكان من التخطيط للمستقبل: أن أمر ﷺ بإخلاء جزيرة العرب من أي دين غير الإسلام فكان من أواخر وصاياه صلوات الله وسلامه عليه أن قال: (قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لا يبقين دينان بأرض العرب)[4].

---

(١) البخاري ٣/ ١٣٣٨ برقم (٣٤٥٩)، ومسلم ٤ / ١٨٥٦ برقم (٢٣٨٦).

(٢) مسلم ٤ /١٨٥٧ برقم (٢٣٨٧) .

(٣) البخاري ٣ / ١١١١ برقم (٢٨٨٨) ، ومسلم ٣ /١٢٥٧ برقم (١٦٣٧) ، والإمام أحمد في المسند ١/ ٢٢٢ برقم (١٩٣٥) ، واللفظ للطبراني في المعجم الكبير بتحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ـ الموصل / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م ، ٣ / ١٣٠ برقم (٢٨٩١) عدا الثالثة فهي عند الشيخين وأحمد وغيرهم .

(٤) البخاري ١ / ١٦٨ و ٣ / ١١١١ برقم (٤٢٦) ورقم (٢٨٨٨) ، ومسلم ١ / ٣٧٧ و ٣ / ١٢٥٧ برقم (٥٣٠) ورقم (١٦٣٧) واللفظ لمالك في الموطأ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، مصر دون ذكر لرقم الطبعة أو تأريخها ، ٢ / ٨٩٢ برقم (١٥٨٣).

ولقد سار الصحابة الكرام رضوان الله عليهم على نهج نبيهم في النظر للمستقبل والاستعداد والتخطيط له والعمل من أجله ، أما اهتمامهم بالآخرة والتسابق في أعمالها فأكثر من أن تحصر، فلهم في كل باب حظ وافر في الصلاة والصوم والذكر والصدقة والجهاد وغير ذلك مما لا يحصى.

وإنما أريد أن أبين أن نظرتهم للمستقبل والتخطيط له سمة من سماتهم وسياسة رشيدة ساروا عليها ومن بعد نظرهم ونضج تفكيرهم رضي الله عنهم أنهم قاموا بجمع القرآن الذي كان مفرقاً في الرقاع والجريد والعظام وفي صدور القراء الحفَّاظ، لكنهم لما أحسوا بخطورة موت كثير من الحفاظ في حروب الردة سيما في حرب اليمامة ، فاستدركوا الأمر وبادروا بخطوات وقائية قبل فوات الأوان ، فعن زيد بن ثابت ﷺ قال : أرسل إلي أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر ﷺ : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ. قال عمر : هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك ما رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمراني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون

شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟! قال : هو والله خير ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[1].

فكانت تلك الخطوة التاريخية من أعظم الأعمال التي بسببها حفظ الله كتابه من الضياع ، فلم يُضع كما ضاعت التوراة والإنجيل .. إن هذه النظرة الثاقبة حفظت كيان الأمة بحفظ هذا الهدى والنور الذي أنزله الله تعالى للبشرية.

ثم كان التحدي الآخر في زمن عثمان ﷺ ، فبعد أن جمع القرآن في مصحف واحد ، ظهر اختلاف القراءات فقد نزل القرآن على رسول الله ﷺ على سبعة أحرف ، كما جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)[2] وقد كان ﷺ يقرأ بهذه الأحرف كلها، إلا أن الصحابة رضي الله عنهم لم يتلقوا هذه الأحرف جميعها ، فمنهم من أخذ بحرف من هذه الأحرف، ومنهم من أخذ بحرفين ، ومنهم من زاد على ذلك فلما تفرقوا في البلاد أخذ التابعون عنهم حسبما أخذوا من رسول الله ﷺ، ولذلك اختلف الناقلون للقراءات فمنهم من نقل قراءة معينة ، ومنهم من لم ينقلها لأنه لم يسمعها ممن أخذ عنه ، وهذه القراءات إنما هي أوجه متعددة لقراءة بعض الكلمات، نزلت رخصة وتيسيراً من الله تعالى ، وكان هذا معلوماً عند أصحاب

---

(١) البخاري ٤ / ١٧٢٠ و ٦ / ٢٦٢٩ برقم (٤٤٠٢) ورقم (٦٧٦٨) .

(٢) البخاري ٤ / ١٩٠٩ برقم (٤٧٠٥) ، ومسلم ١ / ٥٦١ برقم (٨١٩) .

رسول الله ولكنه مع توالي الزمن ، وقر في نفوس كل إقليم أن قراءتهم هي الأصح والأولى ، مما جعلهم ينكرون على غيرهم قراءتهم حينما يلتقون في مواطن الجهاد . فكان لا بد من الحزم في مواجهة هذا التحدي الخطير ومعالجة الأمر ، فقام عثمان بن عفان ﷺ باتفاق الصحابة بجمع المصاحف، وكلف لجنة من قراء الصحابة الكبار فكتبوا هذا المصحف الذي نتداوله اليوم، وبعث عثمان إلى كل إقليم بنسخة وجمع الأمة على مصحف واحد ، فانتهت الفتنة وحسمت بسبب هذا التحرك السريع الذي قام به الصحابة[1].

وعلى نهج الصحابة سار التابعون في حفظ السنة ، لقد كان الصحابة يعتمدون على الحفظ لحديث رسول الله ﷺ وقليل منهم هم الذين كانوا يدونون ما حفظوا ، وتلقى التابعون عن الصحابة وحفظوا عنهم ما رووه لهم عن رسول الله ﷺ، غير أن عمر بن عبد العزيز وتوقعاته للمستقبل ونظره الثاقب رأى أن التدين سيرق في الناس ويكون حديث رسول الله ﷺ عرضة للضياع والتحريف والنسيان، فعمل رحمه الله على تشجيع العلماء في زمنه على كتابة السنة، وكتب إلى واليه على المدينة أبي بكر بن حزم قائلاً له: (انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب

(١) انظر في ذلك صحيح البخاري ٤/ ١٩٠٨ حديث رقم (٤٩٨٧) وانظر الفتح ٩/ ١٦ .

العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً)[1].

وبهذا التوجيه السديد والعمل الرشيد يكون عمر بن عبد العزيز قد وضع اللبنة الأولى في تدوين السنة وحفظها وضبطها ، وقد حفظ الله بتلك الجهود المصدر الثاني من مصادر التشريع وهي سنة المصطفى ﷺ، وأحبط الله بذلك كيد الكائدين وحقد الحاقدين الذين كانوا يرومون الكذب والافتراء على رسول الله ﷺ. وهناك نماذج كثيرة تدل على وعي السلف الصالح رحمهم الله واهتمامهم بالمستقبل ومبادرتهم بالأعمال التي تتناسب مع معطيات حاضرهم واستشراف مستقبلهم.

وسائل مشروعة ومساعدة لاستشراف المستقبل

هناك مجموعة من الوسائل التي يمكن الاعتماد عليها في استشراف المستقبل بعضها أساسي وبعضها ثانوي ، أما الوسائل الأساسية فيمكن تلخيصها في شيئين هما :

الأول: النظر في السنن الجارية التي تسير عليها الحياة ويجري على قانونها الكون.

(١) البخاري ج١/٤٩.

والآخر: النظر في الأخبار الصريحة التي وردت في القرآن والسنة عن أخبار المستقبل من وقت نزول الوحي وإلى أن تقوم الساعة .

وأما الوسائل الثانوية المساعدة التي اعتمدها الشرع لتوقعات المستقبل واستشرافه ، ويستطيع آحاد من الناس الاستفادة منها وفق الضوابط والشروط الشرعية مثل الرؤيا والفراسة والتفاؤل ونحو ذلك . وسأشير بإيجاز إلى هذين النوعين من الوسائل فيما يلي :

أولاً : الوسائل الأساسية وهي قسمان :

[أ] فمن الوسائل الأساسية النظر إلى سنن الحياة التي قدرها الله عزوجل لتسيير هذا الكون، فالكون كله يسير وفق نظام محكم دقيق يحدد حركات الأشياء ويضبط سائر الأمور، وهذا النظام له وجهان :

الأول: هو الجانب المادي الذي تخضع له كل الكائنات في وجودها المادي، وما يتعلق بها من الحوادث، ويخضع له كيان الإنسان المادي، وما يطرأ عليه من تغيرات، مثل نموه وحركة أعضائه ومرضه وهرمه ، ولوازم بقائه حياً ونحو ذلك.

وهذا الوجه لا يختلف في وجوده أهل العلم بهذه الأمور المادية .. وقد دل القرآن على هذا الوجه من هذا النظام العام في آيات كثيرة ، أكد عليها ولفت

الأنظار إليها ليدل بذلك على ربوبية الله تعالى وليزداد الإيمان بالله واليوم الآخر[1].

والثاني: يتعلق بالجانب الاجتماعي الذي يخضع له البشر باعتبارهم أفراداً وجماعات وأمماً، فهم خاضعون لهذه السنة. وهذا القانون في تصرفاتهم وسلوكهم وما يكونون عليه من أحوال وما يترتب على ذلك من نتائج كالرفاهية أو ضيق العيش، والسعادة والشقاء، والعز والذل، والرقي والتأخر، والقوة والضعف، ونحو ذلك من الأمور الاجتماعية في الدنيا وما يصيبهم في الآخرة من عذاب أو نعيم[2].

هذا القانون عبر عنه القرآن الكريم بالسنة، وقد دل القرآن على ثباتها واطرادها قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٢]، وقال ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، والنظر في هذه السنن ومآلاتها ونتائجها توصل إلى حقائق

(١) انظر السنن الإلهية د. عبدالكريم زيدان، ط١ مؤسسة الرسالة ـ بيروت/١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ص٧ وما بعدها.

(٢) السنن الإلهية ص ١٢.

علمية يتوصل إليها المتفرسون من المؤمنين ، فتوقعاتهم واستشرافهم للمستقبل المبني على وقائع الماضي ومعايشة الحاضر غالباً ما تكون النتائج فيه علمية قطعية ، لأن التنبؤ أو التوقع والاستشراف للمستقبل يقوم على حقيقة مفادها أن يفعل في الثاني ما فعل في الأول ، فإذا علمنا ما فُعل في الثاني على أساس معرفة الفعل الأول كنا على علم .. فإذا عرفت الشروط الماضية، وبدأت هذه الشروط تتحقق مرة ثانية، فنحن نتوقع بأن ما سبق أن حدث سيحدث مرة ثانية. إذا صح التوقع أو التنبؤ فوقع الثاني كما توقعناه على أساس ملاحظاتنا السابقة . فذلك دليل على أن الأمر علم ، ففي عالم الفيزياء ـ مثلاً ـ نحكم على الحديد بأنه يتمدد بارتفاع درجة الحرارة وذلك بناء على رؤية سابقة للموضوع.

وفي عالم المجتمع ـ وهو ما يهتم به القرآن ويكرر الحديث عنه ـ نحكم على المجتمع بأنه سيفقد الاستقرار والنمو ، وستحل به النكبات والمصائب حين ينحرف عن الصراط السوي ، وتفقد فيه العدالة ويقتصر تطبيق القانون على بعض الناس فقط ، وهذا الحكم إنما كان بناء على معرفة التاريخ وأحوال المجتمعات والأمم ، وذلك ما يلح عليه القرآن الكريم حين يقص علينا أخبار الأمم السابقة وأحوال الكفار ، وأحداث المجتمعات التي يذكرها أحياناً موجزة وأخرى مفصلة ، وغاية القرآن من ذلك أن تترسخ السنة في نفوس المؤمنين، وأن يفهم الناس أن الآخر سيفعل فيه ما فعل في الأول حين يسير في طريقه.

وكل تلك القصص والأخبار تتلوها تعقيبات تؤكد هذه السنة والقاعدة التي صارت علماً كما قال تعالى: ﴿ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ: ١٧]، وقال: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقال: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المرسلات: ١٦ـ١٨]، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وقال: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: ٤٣][1].

[ب] أما النظر في أمور المستقبل والأحداث الواقعة فيه فالقرآن والسنة مليئان بالحديث عن ذلك وقد أشرت إلى شيء من ذلك في فقرة سابقة.

وأذكرها هنا نماذج من الأخبار الواردة من مستقبل الأمة بعضها مبشرة وبعضها محذرة:

فمن الأخبار المبشرة لهذه الأمة ما جاء في القرآن من وعد الله لعباده المؤمنين بنصرة الإسلام وظهوره وإتمام نوره رغم أنف الكارهين من الكفار والمشركين، قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ

---

(١) انظر في ذلك سلسلة سنن في تغيير النفس والمجتمع، اقرأ وربك الأكرم، دار الفكر المعاصر ـ بيروت لبنان / ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ص ١٣١ وما بعدها جودت سعيد.

لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣]، ونور الله تعالى ودينه في ظهور وازدياد منذ أن بعث الله رسوله ﷺ على الرغم من كيد الكائدين ومكر المجرمين ، قد يضعف المسلمون في بعض الفترات بسبب بعدهم عن دينهم ونسيانهم لأحكام الله ولكنهم سرعان ما يعودون ويستأنفون ، ويوضح رسول الله ﷺ هذه الآية وما جاء في معناها كما جاء عن تميم الداري ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر) فكان تميم الداري يقول : قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان كافراً منهم الذل والصغار والجزية[1].

وعن عدي بن حاتم ﷺ قال : "دخلت على رسول الله ﷺ، فقال : ياعدي، أسلم تسلم . فقلت : إني من أهل دين . قال : أنا أعلم بدينك منك . فقلت: أنت أعلم بديني مني ؟ قال : نعم ، ألست من الركوسية[2]؟ وأنت تأكل مرباع قومك ؟ قلت : بلى . قال : فإن هذا لا يحل لك في دينك. قال : فلم يعدُ أن قالها فتواضعت لها . قال : أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام ، تقول إنما اتبعه

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ١٠٣/٤ برقم (١٦٩٩٨) والحاكم ٤ /٤٧٧ برقم(٨٣٢٦).

(٢) هو دين بين النصارى والصابئين ، النهاية للإمام ابن الأثير بتحقيق الزاوي والطناحي ، المكتبة الإسلامية دون ذكر لتأريخ أو رقم أو بلد الطباعة ، ٢ /٢٥٩ .

ضعفة الناس ، ومن لا قوة له ، وقد رمتهم العرب ، أتعرف الحيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد سمعت بها . قال : فوالذي نفسي بيده ، ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز . قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : نعم كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد . قال عدي : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، والذي نفسي بيده لتكون الثالثة ، لأن رسول الله ﷺ قالها"[1].

ومن الأخبار المبشرة لهذه الأمة ما جاء في القرآن الكريم من التمكين لدين الله وأهله المؤمنين كما في قوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥]، قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٥٧/٤ برقم (١٨٢٨٦) ، وأصله في البخاري ٣ / ١٣١٦ برقم (٣٤٠٠) .

خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ ﴾ وحكماً فيهم ، وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة ، فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام ، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر وإسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه . ثم لما مات رسول الله ﷺ، واختار الله له ماعنده من الكرامة ، قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق ، فلمَّ شعث ما وهَى بعد موته ﷺ، وأخذ جزيرة العرب ومهدها، وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس ، صحبة خالد بن الوليد ﷺ ففتحوا طرفاً منها ، وقتلوا خلقاً من أهلها ، وجيشاً آخر صحبة أبي عبيدة ﷺ ، ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام ، وثالثاً صحبة عمرو بن العاص ﷺ إلى بلاد مصر ، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها . وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة . ومنّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق ، فقام بالأمر بعده قياماً تاماً ، لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكاملها وديار مصر إلى آخرها ، وأكثر إقليم فارس ، وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته ، وقصر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام ، وانحدر إلى القسطنطينية ، وأنفق أموالهما في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى

صلاة . ثم لما كانت الدولة العثمانية – يعني خلافة عثمان بن عفان عليه رضوان الله – امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك ، الأندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان، وجُبي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن.

ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها)[1]. ثم يعلق الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ بقوله: "فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، فنسأل الله الإيمان به وبرسوله والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا"[2].

ومن أخبار القرآن المستقبلية التي أكدها والتي تحمل في طياتها تبشيراً وتهديداً، تهديدٌ ووعيد لمن يتقاعس ويرتد عن دينه ، وتبشير باستمرار هذا

(١) مسلم ٤ / ٢٢١٥ برقم (٢٨٨٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ط ١ ، مكتبة النهضة الحديثة ـ القاهرة / ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م، ٣ / ٣١٤ .

الدين، ووجود أنصاره في كل مكان وزمان قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥٤]، يخبرنا الله تعالى عن قدرته العظيمة وأن من يتولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلاً ، كما قال في آية أخرى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٩ـ٢٠]، أي : بعظيم ولا ممتنع بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره أن يذهبكم ويأت بآخرين على غير صفتكم[1] .

ولما كان القرآن هو كتاب الله الخالد إلى يوم القيامة ويتحدث عن مسيرة البشرية إلى أن تلقى ربها ، فمن البدهي أن يشير إلى الأحداث الكبرى في صراع المسلمين مع أعدائهم ، وكم من آيات نقرؤها اليوم وكأنها تتنزل للتوِّ تحدثنا عن واقعنا ومستقبلنا .. ومن ذلك ما أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم عن مستقبل الصراع مع اليهود من بني إسرائيل وهم الأعداء الاستراتيجيون

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٥٦٩ .

للأمة الذين أمرنا في كل صلاة أن نتبرأ من سلوك طرائقهم في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: ٦ـ٧]، يقول الله تعالى: ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨ ﴾ [الإسراء: ٤ـ٨]، في هذه الآيات الكريمة إشارات ودلالات تدل على مستقبل اليهود ونهايتهم ، ولقد اختلف المفسرون في فهمهم لهذه الآيات حول الإفسادتين التي تحدثت عنهما الآيات ما هما؟ ومتى كانتا ؟ ومن هم الأقوام الذي سلطوا عليهم ؟ وهل هاتان الإفسادتان قد حدثتا أو أنهما ستحدثان بعد نزول القرآن أو أن واحدة قد حدثت من قبل، والثانية في طريقها أو هي قائمة حالياً .. خلاف كثير وتباين كبير بين الآراء..

والذي أميل إليه هو أن اليهود لهم إفسادات عديدة إذ هم أمة الفساد والإفساد ولكن الإفسادتين الكبيرتين التي تتحدث عنها الآيات مرتبطة بعلو، والعلو لا يتحقق إلا بقوة ودولة وسيادة. ومن المعلوم تاريخياً أن اليهود بعد وفاة نبي الله سليمان عليه السلام كانت لهم دولة، ولكنهم بعد فترة من الزمن تنكبوا عن منهاج النبوة ، واحترفوا الإجرام والفساد ، انحرفوا وأفسدوا، وطغوا وبغوا وعطلوا أحكام الله وحاربوا الذين يأمرون بالقسط من الناس وقتلوهم فسلط الله عليهم ، من خرب دولتهم وضرب كيانهم وحطم بنيانهم، وكان أخر ذلك على يد بختنصر (نبو خذ نصر) سنة ٥٨٨ قبل الميلاد[١]. وانتهى اليهود كدولة وقوة منظمة منذ ذلك التاريخ وكتب الله عليهم الذلة والمسكنة وقطعهم في الأرض كيانات متناثرة تعيش إما ملاحقة أو تحت حماية الأمم الأخرى حقيرة ذليلة . ثم لم تقم لهم دولة تتصف بالعلو الكبير والفساد العظيم إلا هذه الدولة القائمة حالياً ، وإذا ما تأملنا الآيات التي تتحدث عن اليهود وإعادة الكرة لهم فإننا نجد انطباقاً كاملاً على هذه الحالة التي تعيشها دولة اليهود حالياً.. فالذين سلطهم الله على اليهود في الماضي قبل الإسلام فأزال كيانهم ودولتهم هم من قبل العراق ، ويحتمل أن يكون بختنصر موحداً سلطه الله على اليهود وتذكر الآيات بأن الذين يسلطون على بني إسرائيل أول مرة هم الذين

(١) انظر مكائد يهودية عبر التاريخ لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ط ٥ ، دار القلم ـ دمشق ـ بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، ص ٤٣٠ وما بعدها .

يسلطون عليهم ثاني مرة ، بدليل أن الضمائر تعود عليهم في قوله سبحانه ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ وقوله ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـٔۥُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ [الإسراء: ٧]، ويبدو والله أعلم أن الإفسادة الأولى هي التي سلط الله عليهم فيها بختنصر ، فهي الإفسادة التي رافقها بغي وطغيان وعتو، والتي يدور حولها كثير من الكلام في العهد القديم ، وقبل ذلك لا نعرف تاريخياً أنه حدث لبني إسرائيل مثل هذا الدمار ، ولم يحدث أن قوماً سيطروا على المسجد الأقصى وجاسوا خلال الديار . ومما يرجح أن الإفسادة الثانية هي التي نراها لليهود اليوم في شكل دولة وسلطان ومما يؤيد ذلك من الآيات أن الله تعالى قال : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٦]، ومن المعلوم أن أسس قيام دولة ما لا بد لها من عناصر أساسية تقوم عليها، وهي أرض وشعب ونظام ، وهذه العناصر غير متوفرة في دولة اليهود الحالية ، فلا أرض ولا شعب مجموع لأن الله قطعهم في الأرض أمماً ، متناثرين في أصقاع الأرض في ذلة وهوان ، ولما قررت الدول الاستعمارية زرع هذا الكيان الدخيل في فلسطين الأرض المقدسة التي باركها الله، قاموا بمنحهم أرضاً ليست لهم ، ثم قاموا بإمدادهم باليهود أبناء القردة والخنازير ممن غضب الله عليهم ولعنهم ، من مختلف البقاع فكان هذا المد البشري لهم ، وقامت الدول الاستعمارية كذلك بإمدادهم بالأموال الطائلة

وتكفلت بدعم ميزانياتهم وببناء مصانعهم واقتصادهم ، والآية ذكرت هذا الإمداد بالأموال والبنين ثم ذكرت معنى آخر ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ ﴾ [الإسراء: ٦]، وإن اليهود اليوم يستنفرون العالم ويجندونه لصالحهم ، ويفرضون على الجميع سياساتهم طائعين أو مكرهين ولا يستطيع أحد أن يحاسبهم أو يلزمهم بعهد أو ميثاق. وأي فساد واستكبار أعظم من هذا الذي يعيشه اليهود اليوم إذ لهم تأثير في مجالات السياسة والاقتصاد والإعلام على كبريات الدول فضلاً عن صغارها . و إذا سلمنا بهذا التأويل مع فهمنا لقوله تعالى في سورة الإسراء في أواخرها : ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۝١٠٤ ﴾ [الإسراء: ١٠٤]، يكون المعنى اسكنوا الأرض كلها متفرقين ، فإذا جاء وعد الإفسادة الثانية جئنا بكم إلى أرض فلسطين ، وعندئذ نسلط عليكم من سلطناهم عليكم من قبل ، فإن كان بختنصر مسلماً فالمسلطون الجدد هم المسلمون بإطلاق ، وإن لم يكن كذلك، فالعراقيون خاصة وهم مسلمون اليوم بفضل الله[1].

وهذا ما يؤكده اليهود اليوم بتخوفهم من العراق وسعيهم لقتله والتنكيل به عبر الحصار الاقتصادي ، ودفع الأمريكان وغيرهم للانقضاض عليه وإضعافه

---

(١) انظر الأساس في التفسير لسعيد حوى ، ط٢ دار السلام ـ مصر / ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م ، ج٦ /٣٠٣٧ وما بعدها .

وتدميره ، إنهم على يقين بأن تدمير دولتهم القائمة اليوم يأتي عبر العراق ومن شعبها أو عن طريقها ، وها نحن اليوم نرى تباشير النصر تلوح بالأفق بعد الاحتلال الصليبي واليهودي للعراق ، حيث تشتد المقاومة ، وينضج الجهد والجهاد وتتربى الأمة على حب الجهاد والاستشهاد والتضحية والفداء ، إن الأمة اليوم وعلى ثرى فلسطين وبلاد الرافدين وغيرها تربيها الأحداث المؤلمة على القوة والشدة ، إنه تأهيل لجيل يكون أولي بأس شديد ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾ [المائدة: ٥٤]، ليدمروا كلما شيده اليهود وأقاموه على مدار سنين لدولتهم الإجرامية.

ومما يؤيد هذا الفهم حديث النبي ﷺ الذي أخبرنا بأن الساعة لا تقوم حتى يقتل المسلمون اليهود ليطهروا الأرض من رجسهم وفسادهم ويشارك في قتال اليهود حتى الأشجار والأحجار قال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي من وراء الشجر والحجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ياعبدالله ، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)[١].

والغرقد شجيرة صغيرة كثيفة الأغصان تزرع الآن في كل فلسطين, ويزرعها اليهود بأيديهم[٢] والدلائل الواقعية تشير بقوة إلى أن اليهود في هذا

(١) البخاري ٣/ ١٠٧٠ برقم (٢٧٦٨) ، مسلم ٤/ ٢٢٣٩ برقم (٢٩٢٢) واللفظ له.

(٢) انظر زوال إسرائيل حتمية قرآنية ص٢٢ للشيخ أسعد التميمي إمام المسجد الأقصى سابقاً .

العصر يسعون بأيديهم وبكل ما أوتوا من قوة لتهيئة كل ما يلزم لتنفيذ وعد الآخرة عليهم ، حتى تنزل بهم نقمة الله على أيدي المسلمين ومن يؤازرهم...

إن اليهود يسعون إلى حتفهم بظلفهم ، ولن تتزلزل عقيدة المسلمين بكتاب الله تعالى ولا بخبر رسول الله ﷺ الذي قال فيه بأنه لن تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون ولكن بشرط أن يكونوا مسلمين حقاً[1] .

ومن الأخبار المبشرة بمستقبل مشرق للأمة الإسلامية فتح القسطنطينية وروما وعودة الخلافة على منهاج النبوة فقد صح عن النبي ﷺ أنه سئل عن أي المدينتين تفتح أولاً أقسطنطين أو رومية ؟ ـ وقسطنطينية هي استنبول التي فتحت على يد محمد الفاتح ورومية هي روما عاصمة إيطاليا ـ فقال رسول الله ﷺ: (مدينة هرقل تفتح أولاً)[2] يعني قسطنطينية.

وعن حذيفة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً

(١) انظر مكايد يهودية ص٤٣٥ .

(٢) أحمد ٢ /١٧٦ برقم (٦٦٤٥) ، والحاكم ج٤ / ٤٦٨ برقم (٨٣٠١) وغيرهم.

فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت)[1].

هـذه المبشـرات وغيرهـا كـثير والـتي تبشـر بـالخير وأن النصـر قـادم وأن المستقبل للإسلام ينبغي أن تكون دافعاً قوياً للمسـلم إلى الجـد والعمـل لا أن تتخذ ذريعة للاتكال والكسل ، وترقباً وانتصاراً سـلبياً ، كمـن يعطـل أحكـام الإسلام من أهل الأهواء والبدع منتظراً للمخلص المنتظر ؟!

وسائل مساعدة في استشراف المستقبل

هناك عدد من الوسائل التي يستأنس بها لتوقعـات المسـتقبل واستشـرافه اعتمدها الشارع وجعل لها ضوابط ومن تلك الوسائل:

الرؤيا الصالحة :

تكون من المبشرات سيما عند ظهور الفتن واشـتداد البلايـا والمحـن، قـال رسول الله ﷺ: (إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب ، وأصـدقكم رؤيـا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جـزءً مـن النبـوة والرؤيـا ثلاثة : فرؤيا الصالحة بشرى من الله ، ورؤيـا تحـزين مـن الشـيطان ، ورؤيـا مما

(١) أحمد ٤ / ٢٧٣ برقم (١٨٤٣٠) ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ط ٣ ، دار الكتاب العربـي – بـيروت، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، ٥ /١٨٩ .

يحدث المرء نفسه ، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس)[(١)].

فالناس على هذا ثلاث درجات الأنبياء ورؤياهم كلها صدق .. والصالحون والأغلب على رؤياهم الصدق. وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير . ومن عداهم يقع في رؤياهم الصدق والأضغاث، وهم على ثلاثة أقسام : مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم ، وفسقة والغالب على رؤياهم الأضغاث، ويقل فيها الصدق ، وكفار ويندر في رؤياهم الصدق جداً[(٢)].

وكلامنا إنما هو في الرؤيا الصالحة الصادقة التي تفيد في معرفة المستقبل وهي من بقايا النبوة التي قال عنها الرسول ﷺ: (أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له)[(٣)].

والرؤيا لا يعبرها كل أحد بل لا بد من عالم ناصح صادق ، وقد قيل للإمام مالك رحمه الله: أيعبر الرؤيا كل أحد ؟ فقال : أبا النبوة يلعب ؟ وقال مالك : لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها ، فإن رأى خيراً أخبر به وإن رأى مكروهاً فليقل خيراً أو ليصمت[(٤)]. وقد قال ﷺ: (إن الرؤيا تقع على ما تعبر ، ومثل ذلك مثل رجل

---

(١) البخاري ٦ / ٢٥٧٤ برقم (٦٦١٤) ، مسلم ٤ /١٧٧٣ برقم(٢٢٦٣) واللفظ له .

(٢) انظر فتح الباري ج١٢ /٣٦٢ .

(٣) البخاري ٦ / ٢٥٦٤ برقم (٦٥٨٩) ، مسلم ١ /٣٤٨ برقم (٤٧٩) واللفظ له.

(٤) التمهيد لابن عبد البر ، وزارة الأوقاف المغربية ـ الرباط، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها ، ج١ /٢٨٧ .

رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها ، فإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدث بها إلا ناصحاً أو عالماً). وفي رواية عند أحمد (أو لبيباً) وعند ابن حبان (أو حبيباً)(١).

إن الرؤى الصالحة مجرد مبشرات أو منبهات لتثبيت قلوب المؤمنين أو تقوية عزائمهم .. وليست مخدرات يتعاطاها بعض السلبيين ليتخذوا منها تكأة للاتكالية الواهنة ، وللهرب من الواقع ، أو للقعود عن العمل ومجاهدة الفساد، ومقاومة الظلم والطغيان فالنبي ﷺ وأصحابه لم يكونوا ينظرون إلى الرؤيا أكثر من أنها بشرى ، ثم يمضون في خطتهم وجهادهم آخذين بالسنن مقبلين على العمل(٢).

ومن الرؤى الصالحة التي رآها أحد الصالحين ولها صلة بواقعنا المعاصر أنه رأى في المنام أثناء غزو أمريكا لأفغانستان أن مجندة أمريكية لطمت أفغانياً لطمة شديدة حتى وقع على الأرض ثم قام من بعد سقوطه وأخذ تلك المجندة فضربها فحاولت الهروب غير أنها وقعت في مستنقع فكانت تحاول أن تخرج منه ولكن محاولاتها باءت بالفشل وبعد فترة من الزمن استطاعت الخروج من ذلك المستنقع، ولكنها خرجت وهي عجوز شمطاء قد ذهب شبابها وضمر جسمها وابيض شعرها وتجعد وجهها . فاستبشر الناس الذين سمعوا بهذه الرؤيا وقالوا:

---

(١) الحاكم ج٤ / ٤٣٣ برقم (٨١٧٧) ، أحمد ٤ /١٠ برقم (١٦٢٢٨) ، صحيح ابن حبان ٤٢٠/١٣ برقم (٦٠٥٥) واللفظ للحاكم .

(٢) انظر موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى للقرضاوي ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت / ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م ، ص ١٢٤ .

لعل أمريكا قد وقعت في مستنقع يصعب عليها أن تخرج منه متعافية ، وهذا بالفعل ما تؤكده الوقائع والأحداث . وما هذه الرؤيا وغيرها في هذا السياق إلا من المبشرات التي تبعث الأمل في النفوس فتنهض من كبوتها وتجاهد وتكافح الجبروت والطغيان والهيمنة الأمريكية واليهودية وأن توقن بأن أمرهم إلى تباب والخسار تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧].

الفراسة :

وهي تطلق ويراد بها أحد معنيين :

الأول : ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه يعلمون به أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس .

والثاني : نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف به أحوال الناس(١).

والفراسة ثلاثة أنواع :

النوع الأول : فراسة إيمانية :

وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده ، وحقيقتها أن خاطراً يهجم على القلب ، يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة ، ومنه اشتقاقها، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان ، فمن كان أقوى إيماناً فهو أحد فراسة . وإذ اعُمّر

(١) انظر النهاية ج٢ /٣٥٤ .

القلب بالإيمان والتقوى انجلت له الأمور ، وانكشفت . بخلاف القلب الخرب المظلم، وفي الحديث الصحيح: (إن الدجال مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ)[1].

فدلَّ ذلك على أن المؤمن يتبين له ما لا يتبين لغيره ، ولاسيما في الفتن ، حيث تنكشف له حال الكذاب ولا يروج عليه الباطل ، وكلما قوي الإيمان في القلب ، قوي انكشاف الأمور له وعرف حقائقها من بواطلها . وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف . وذلك مثل السراج القوي والسراج الضعيف في البيت المظلم . في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر) [2].

والمحدث : هو الملهم المخاطب في سره . وما قال عمر ﵁ لشيء: إني لأظنه كذا وكذا ، إلا كان كما ظنه .

وكانوا يرون السكينة تنطق على قلبه ولسانه ، وكثير من أهل الإيمان والكشف يلقي الله في قلبه أن هذا الطعام حرام ، وأن هذا الرجل كافر ، أو فاسق أو ديوث أو لوطي أو خمار أو مغنٍ أو كاذب من غير دليل ظاهر ، بل بما يلقي الله في قلبه . وكذلك بالعكس يلقي في قلبه محبة لشخص ، وأنه من أولياء الله ، وأن هذا الرجل صالح ، وهذا الطعام حلال ، وهذا القول صدق .

(١) البخاري برقم ٢/٥٦٣ برقم (١٤٨٠) ومسلم ٤/٢٢٤٩ برقم (٢٩٣٤) واللفظ له .

(٢) البخاري ٣/١٣٤٩ برقم (٣٤٨٦) واللفظ له ، مسلم ٤/ ١٨٦٤ برقم (٢٣٩٨) .

فهذا وأمثاله لا يجوز أن يستبعد في حق أولياء الله المؤمنين المتقين . وقصة الخضر مع موسى عليه السلام هي من هذا الباب . وإن الخضر علم هـذه الأحـوال المعينـة بما أطلعه الله عليه[1] .

النوع الثاني : فراسة رياضية :

وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي ، فـإن الـنفس إذا تجـردت عـن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها ، وهـذه فراسـة مشـتركة بين المؤمن والكافر ، ولا تدل على إيمان، ولا على ولاية ، ولا تكشف عـن حـق نافع ، ولا عن طريق مستقيم ، بل كشفها من جـنس فراسـة الـولاة وأصـحاب عبادة الرؤساء.

والنوع الثالث : فراسة خِلقية :

وهي التي صنف فيها العلماء من الأطباء وغيرهم ، واستدلوا بالخلْق علـى الخُلُق ، لما بينهما من الارتباط الـذي اقتضـته حكمـة الله ، كالاسـتدلال بصـغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل ، وبكبره على كبره ، وسـعة الصـدر على سعة الخُلق ، وبضيقه على ضيقه ، وبجمود العيـنين وكـلال نظرهمـا علـى بلادة صاحبهما وضعف حرارة قلبه ونحو ذلك[2] .

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية جمعه عبد الرحمن بن محمد العاصمي وابنه محمد ، تصـوير الطبعـة الأولى ١٣٩٨هـ ، ج٢٠ /٤٢ وما بعدها .

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق الألباني ، ط١، الـدار الإسـلامي ـ عمـان /١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ص ٤٩٨ ومابعدها .

ومع كل ما سبق ذكره من أنواع الفراسة وإقرار الشرع بقبولها واعتبارها مشروطاً بشرط عدم مخالفته حكماً شرعياً وعدم مصادمته لقاعدة دينية ثابتة . فإن خالف كتاباً أوسنة صحيحة فإنه لغو من الباطل لا يلتفت إليه مهما كان قائله .

ومن الوسائل المساعدة لتوقعات المستقبل واستشرافه : الاستبشار والفأل والتفاؤل ، والفأل أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول له يا سالم ، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول يا واجد ، فيقول تفاءلت بكذا ، ويتوجه له في ظنه كما سمع أنه يبرأ من مرضه أو يجد ضالته(1) .

وفي الفأل تقوية للعزم وباعث على الجد ، ومعونة على الظفر ، فقد تفاءل رسول الله ﷺ في غزواته وحروبه . فينبغي لمن تفاءل أن يتأول بأحسن تأويلاته، ولا يجعل لسوء الظن على نفسه سبيلاً(2) . وسمع رسول الله ﷺ كلمة فأعجبته فقال : (أخذنا فألك من فيك) (3) وكان ﷺ يعجبه الفأل الحسن ، ويكره الطيرة، وكان ﷺ يقول : (لا طيرة وخيرها الفأل)(4) قيل: يا رسول الله : وما الفأل ؟ قال:

---

(1) انظر لسان العرب ج11/513 .

(2) انظر أدب الدنيا والدين للماوردي بتحقيق د. محمد صبّاح ، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت، 1986م ، ص 316 .

(3) سنن أبي داود للإمام أبي داود بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها ، 4/ 18 برقم 3917 .

(4) البخاري 5 / 2171 برقم (5422) ومسلم 4 / 1745 برقم (2223).

(الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم) وفي لفظ قال : (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل : الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة)[1].

وهذه الوسيلة لا تكشف شيئاً عما يكنه ستار الغيب إلا أنها تعطي شعوراً بالانبساط والاستبشار بتوقع خير في المستقبل ، والإنسان دائماً يحتاج إلى أمل وتفاؤل واستبشار حتى يواصل حياته، ويمارس عمله في حيوية وقوة وانطلاق.

وسائل محرمة لاستشراف المستقبل

هناك وسائل وأعمال متنوعة تضلل وتوهم الناس بأنها تكشف عن غيب المستقبل وهي أكاذيب وخداع وتضليل جاء الإسلام بمنعها وأعلن الحرب عليها وعلى المروجين لها ومن تلك الوسائل التي حرمها الإسلام :

الكهانة :

والكاهن : هو الذي يأخذ عن مسترق السمع من الشياطين وكانوا قبل بعثة محمد ﷺ كثيراً، وأما بعد البعثة فإنهم قليل ، لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب ، وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن أولياءهم من الإنس عن الأشياء الغائبة بما يقع في الأرض من الأخبار . فيضل بسبب ذلك كثير من

(١) البخاري ٥ / ٢١٧٨ برقم (٥٤٤٠) ومسلم ٤ / ١٧٤٦ برقم (٢٢٢٤).

الرعاع والجهَّال إذ يحسبون ذلك كشفاً وكرامة ، والواقع أن الكاهن من أولياء الشيطان ، حيث يتم تآلف روح الشيطان القرين مع روح الإنسان الخبيث فيتناجيان ، ويتكلم الشيطان مع قرينه بما يحب من الأخبار التي يتلقاها الشيطان عن الشيطان الآخر قرين الإنسان الآخر ، وهكذا فإن لكل إنسان قريناً من الشياطين كما جاء ذلك في القرآن الكريم والسنة المطهرة . فيخبر شيطان الإنس بما أوحى إليه شيطان الجن من أخبار السائل وأحواله وخصوصية نفسه مما ألقاه إليه الشيطان القرين ، فيظن الجهلة أن ذلك ناتج عن صلاح وتقوى وكرامات ، وأنه بصلاحه قد كشف الحجاب عنه . وهذا من أضل الضلال ومن أعظم الخذلان(1).

قال تعالى مبيناً ذلك: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128)﴾ [الأنعام: 128].

وقد حذَّر النبي ﷺ عن إتيان الكهان وعن سؤالهم وتصديقهم، وشدَّد النكير على من يفعل ذلك كما جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)(2) والعراف هو الذي

---

(1) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ بتحقيق ابن باز ، ط1 ، دار القلم ـ بيروت / 1405هـ ـ 1985م ، ص 306 .

(2) مسلم 4 / 1751 برقم (2230) .

يدعي معرفة الأمور الغائبة ، وإذا كانت هذه حال السائل فكيف المسؤول ؟ وفي السنن عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)[1].

ويدخل في هذا التنجيم ، وهو نوع من الكهانة وقد شاع استعماله في الناس ، وانتشر تداوله شرقاً وغرباً ، وغدا مألوفاً عند الناس ورُوج له في الصحف والمجلات ، واعتمدوا في ذلك على دلالة البروج ، وخصصوا صفحات المجلات والصحف للتنبؤ بمستقبل شخص عن طريق النظر إلى برجه . وهذا من الكهانة المحرمة شرعاً . ومن يصدق هذه الأشياء يخشى عليه من خسران عمله وعدم قبول صلاته وقد يقع في الكفر والعياذ بالله . ومما يدل على تحريم التنجيم قول النبي ﷺ: (من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد)[2]، وقال ﷺ: (أربع في أمتي من أمرالجاهلية لايتركوهن: الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة)[3]. والمنهي عنه من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث التي لم تقع وربما تقع في مستقبل الزمان ، مثل إخبارهم بوقت هبوب الرياح ، ومجيء المطر ، ووقوع

(١) أبو داود ٤ / ١٥ برقم(٣٩٠٤) ، والترمذي ١ / ٢٤٢ برقم(١٣٥) ، وابن ماجة ١ /٢٠٩ برقم(٦٣٩)، وأحمد ٢ / ٤٢٩ برقم(٩٥٣٢) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ١ / ٣١١ برقم (٢٨٤١) وأبو داود ٤ / ١٥ برقم (٣٩٠٥) وابن ماجة ٢ /١٢٢٨ برقم (٣٧٢٦).

(٣) رواه مسلم ٢ / ٦٤٤ برقم (٩٣٤).

الثلج ، وظهور الحر والبرد وتغيير الأسعار ونحوها. ويزعمون أنهم سيدركون معرفتها بسير الكواكب واجتماعها وافتراقها.

أما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم كمعرفة الأوقات والجهات والفصول فهذا النوع غير داخل في النهي . وقد لخص الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله علم النجوم وقسمها إلى قسمين :

[١] علم التأثير .

[٢] علم التسيير .

فعلم التأثير يدخل فيه الاعتقاد بأن هذه النجوم مؤثرة فاعلة ، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث فهذا شرك أكبر . أو أن يجعلها سبباً يدعي به علم الغيب ، فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا فهذا اتخذ علم النجوم وسيلة لا دعاء معرفة الغيب ودعوى علم الغيب كفر مخرج عن الملة لأن الله يقول : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥]. أو أن يعتقد أنها سببٌ لحدوث الخير والشر ، أي أنه إذا وقع شيء نسبه إلى النجوم وهذا شرك أصغر .

أما علم التسيير فهو أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية كالاستدلال بها على جهة القبلة مثلاً أو على مصالح دنيوية كأن يستدل بها على الجهات ،

ويتعرف من خلالها على الفصول من خـلال معرفـة منازلهـا ومطالعهـا فهـذا لا شيء فيه ولا بأس به(1).

ومن الوسائل المكروهة كراهة تحـريم الاعتمـاد علـى الإسـرائيليات الـتي تتحدث عن أحداث المستقبل إذ معظمها من وضع اليهود الذين يفـترون علـى الله الكذب ، ويضللون الأمم، ويخـدعون الشـعوب بمـا سـطروا مـن خرافـات، وكتبوها بأيديهم وضمنوها أسفارهم ثم أودعوهـا في التلمـود أو بروتوكـولات حكماء صهيون ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٧٩]، كتلك الوعود المفتراة التي تخول لهم السيطرة على العالم، وتشـكيل مستقبل البشرية وفق رؤياهم وتصوراتهم التي لا تقوم على علم ولا هـدى ولا كتاب منير، وإنما هي رغبات خبيثة، وأهواء مضلة تلِج في صدورهم وتـنفح بهـا نفوسهم الإجرامية .

ومما يؤسف له أن كـثيراً مـن الكتـاب والمـثقفين قـد وقعـوا في شـراكهم وراحوا يحددون في كتاباتهم ومقالاتهم عمـر أمـة الإسـلام ونهايـة العـالم وفـق التصور اليهودي الصليبي .

وهناك من الأشخاص من يبحث في أحاديث الفـتن والملاحـم ويحـاول أن يفصلها وينزلها على أشخاص بأعيانهم ، فقد ظهر عدد مـن الكتـاب ادعـوا أن

---

(1) انظر القول المفيد لابـن عثـيمين ، ط1 دار البصـيرة ـ الاسـكندرية / ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ، ص ٣٥٧ وما بعدها .

صدام حسين هو القحطاني وذهب آخرون إلى أنه السفياني .. معتمدين على روايات غير موثوقة فوقعوا في ضلالات وجهالات عديدة لو لم يكن منها إلا تشكيك الناس وفقد ثقتهم بالأحاديث والأخبار التي تنسب إلى الرسول ﷺ حين يرون الوقائع على خلاف ما يقوله أولئك . ثم إن الروايات التي يوردونها مرفوضة عند علماء الحديث وغير مقبولة في الميزان العلمي الدقيق ، كاعتمادهم على كتاب الفتن لنُعيم بن حماد ، وهو مليء بالطوام ، والأحاديث الضعيفة والموضوعة كما ذكر ذلك علماء الجرح والتعديل من السابقين واللاحقين[1].

وحتى الأحاديث الصحيحة فإنه لا ينبغي الجزم بما يفهم منها ثم إنزال ذلك على أشخاص بأعيانهم زماناً ومكاناً ، كمن ينزلون أحاديث المهدي على أشخاص بأعيانهم ؟ فذلك كله من أحلام اليقظة ومن الحدس والأوهام والظنون الكاذبة ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النجم: ٢٨]، وفي الحديث: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)[2].

وإن السير نحو المستقبل بهذا الفهم السقيم والمنهج العقيم إنما هو إعاقة لانطلاقة الأمة، وتخدير لمشاعرها وإقناعها بالوهم وتغييب لها عن الواقع العملي الذي ينبغي لها أن تسلكه وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: (إن

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي بتحقيق الأرنؤوط وآخرون ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت / ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، ١٠ / ٥٩٥ رقم ترجمته (٢٠٩) .

(٢) البخاري ٥ / ١٩٧٦ برقم (٤٨٤٩) ومسلم ٤ /١٩٨٥ برقم (٢٥٦٣) .

قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل)[1].

العمل للمستقبل المشرق

لن يصلح آخر هذه الأمة إلى بما صلح به أولها ولقد وضع ﷺ الأسس القوية المتينة لبناء الفرد والأسرة والمجتمع والدولة.

وأولى تلك الأسس: التي بدأ بها رسول الله ﷺ بناء الإيمان والعقيدة والتوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له رباً خالقاً رازقاً آمراً وناهياً ومشرعاً لخلقه ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فتحقيق العبودية لله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، والمسارعة إلى جنته ومرضاته ، والخوف من مقته وعذابه، والهروب من مساخطه التي توجب النار .. هذا الشعور وهذه العقيدة إذا ترسخت في النفوس تكون هي عربون النصر والتمكين كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٣ــ١٤]، ويندرج تحت

(١) أحمد في المسند ٣/ ٩١ برقم (١٣٠٠٤) .

هذا الأصل كل أركان الإيمان والإسلام وهذا هو الأساس المتين الذي يقوم عليه هذا الدين ، فتحقيق عبادة الله وحده والكفر بالطاغوت هو الأصل والأساس. ومعظم القرآن إنما يتحدث عن أسس الإيمان ومقتضياته ومتعلقاته ، حتى يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار .

والأساس الثاني: الذي بدأ به رسول الله ﷺ مع أصحابه هو الأخوة والحب في الله والتناصر والتآزر والموالاة وربط المؤمنين ببعضهم وتوثيق عرى الحب والتآلف وإزالة كل عوامل الفرقة والتنافر والتدابر والتقاطع مع قطع علائق المولاة والحب والنصرة مع غير المؤمنين كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥ـ٥٦]، وقال عليه السلام: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[1].

ولا بُدَّ للأمة أن تعيد بناء علاقاتها وصياغتها وفق أحكام الإسلام وتتخلص من هذه الغثائية والتقاطع والتدابر الذي نعيشه فإن المستقبل الإسلامي المشرق منوط بتحقيق ذلك .

(١) البخاري ٥ /٢٢٣٨ برقم (٥٦٦٥) ومسلم ٤ /١٩٩٩ برقم (٢٥٨٦) .

والأساس الثالث: الذي أقامه رسول الله ﷺ للمجتمع الإسلامي بناء المسجد ليكون مقراً للعبادة يجتمع فيه المسلمون ويتعارفون ويتآلفون ويتعلمون ويتطهرون ويتعاونون على البر والتقوى . إن كثيراً من حقائق الإسلام ومبادئه لا تتحقق إلى في حرم المسجد ورحابه.

لقد كان المسجد في عصر النبي ﷺ وعصر خلفائه هو كل شيء في حياة المسلم فهو مكان للصلاة والعبادة . وهو المدرسة والجامعة وهو مقر الحكم والقيادة ومكان للشورى ، واستقبال الوفود ، منه تنطلق السرايا والبعوث ، وفيه تستقبل أخبار الانتصارات والفتوح ، وإليه يفزع المسلمون في الشدائد والملمات، يصلون ويدعون الله في كشف البلايا والمحن .

لقد كان المسجد هو أول شيء يُبدأ في تشييده وبنائه حين تفتح البلدان وتمصر الأمصار، لقد كانت الأمة كلها في عصور ازدهار الإسلام تلتقي في المسجد وتنهل من معينه العذب، ونميره الصافي الرجال والنساء والكبار والصغار ، لا يشذ عنه ولا يتخلف إلا منافق معلوم النفاق . ولقد ابتعدت الأمة عن بيوت الله تعالى وعطلت رسالته وحجمت دوره في كثير من الأحيان ، وإن من واجبات الحركات الإسلامية وجيل الصحوة أن يستأنفوا مسيرة العمل الإسلامي ويعيدوا الأمة إلى المساجد لتصاغ صياغة الإيمان وتتربى على مائدة القرآن ، لتكون بحق خير أمة أخرجت للناس .

أما الأساس الرابع: الـذي انتهجـه رسـول الله ﷺ في نشـر دعـوة الإسـلام وتبليغها وحماية المسلمين من مكائد الأعداء فهو الجهاد في سبيل الله، ذروة سـنام الإسلام ، فرضه الله على هـذه الأمـة، وكتبـه عليهـا وأمرهـا بالإعـداد والأخـذ بأسباب القوة لتكون مرهوبة الجانب ، عزيزة تحمل الحق وتقيم العـدل وتحـرس الفضائل وتنشر الخير والنور للعالمين وتحررهم مـن الـرق والعبودية لغـير الله وتؤدب الطغاة والمجرمين الذين يظلمـون النـاس ويسـتعبدونهم، ويجعلـون مـن أنفسهم أرباباً وآلهة ويبغون الأمور انحرافـاً وعوجـاً . ولقـد رغـب الله عبـاده في الجهاد، ودعاهم إليه، ورتب عليه عظيم الأجر .. وربـط العـزة والرفعـة والخـير بإقامة هذه الفريضة، التي يحاول أعداء الإسلام ومنذ زمن طويل أن يلغوهـا مـن دين الإسلام، ويحرفوا معانيها، ويحولوا بين الأمة وبين القيام بهـا .. غـير أن الله تعالى جعل طائفة من الأمة تقوم به على مر العصور لا يضرهـم مـن خـذلهم أو خالفهم حتى قيام الساعة .

هذه الأسـس الـتي أرسـى دعائمهـا رسـول الله ﷺ ينبغـي أن تكـون هـي المنطلقات الحقيقية لبناء المستقبل الإسلامي وصناعته .. والأمة موعـودة ومبشـرة بذلك في الكتاب والسنة . كما أشرنا إلى ذلك والدلائل والمؤشرات كلها تشير إلى أن المستقبل لهذا الدين ، وأن الجولة القادمة له، والعاقبـة للمـتقين ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فعلـى علمـاء الأمـة ودعاتهـا وزعمائهـا وقـادة الـرأي فيهـا ألا

يضيعوا الجهود، ويبعثروها في متاهات وخلافات على جزئيات تهدر طاقاتهم، وتبدد قواهم، وتتشرذم جهودهم، بل الواجب أن تتوحد الجهود وتتضافر وتتوحد الصفوف، بعد اجتماع القلوب على تحقيق هذه الأسس وتقويتها وترسيخها في عقول الأمة وأفئدتها وفي واقعها المعاش ، فإذا تحققت هذه الأمور في حياة الأمة فإنها ستكون مع النصر والتمكين على موعد ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج: ٤٠].

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث الموجز يمكنني القول بأنني لم أستوف الموضوع حقه لطوله وسعته، وحسبي أنني سلطت بعض الأضواء عليه، وأثرت عدداً من القضايا التي تحتاج من الباحثين إلى مزيد من الدراسة والاهتمام، في صناعة مستقبل إسلامي زاهر مستضيء بنور الوحي وقائم على هداه ، ليسير على صراط مستقيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .